ترجمة الآداب الثقافية العالمية :

أذيعت أخيراً أهم القرارات التي أقرتها الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في القسم الثاني من دورتها الأولى التي عقدت بنيويورك من ٢٣ أكتوبر إلى ١٥ ديسمبر عام ١٩٤٦ ومن بينها قراران خاصان بالناحية الثقافية اقترحهما الوفد اللبناني ووافقت عليهما الجمعية بالإجماع وهما :

أولا : تعتبر الجمعية العامة أن ترجمة الآداب الثقافية العالمية إلى لغات أعضاء الأمم المتحدة من شأنه أن يساعد على التفاهم وانتشار السلام بين الأمم إذ يخلق ثقافة مشتركة لجميع الشعوب .

لذلك فهي تحيل هذا الموضوع إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي ليحيله بدوره إلى المنظمة التهذيبية والاجتماعية والثقافية للأمم المتحدة لاتخاذ عمل ملائم ، وتوصي المجلس والمنظمة أن يأخذا بعين الاعتبار المبادىء التالية في درس هذا الموضوع :

(ا) أن ترجمة هذه الآداب الثقافية العالمية هي مشروع ذو طابع عالمي له أهمية كبرى من ناحية التعاون والتفاهم الدولي حول المسائل الثقافية .

(ب) أن بعض الأمم ليس لديها التسهيلات الكافية ولا المعدات اللازمة لترجمة هذه الآداب العالمية إلى لغاتهم .

(ح) تعتبر هذه الترجمة من الحوافز التي تساعد على انتشار الثقافة بين الناس .

(د) أن معنى الآداب الثقافية لا ينحصر بالإشارة إلى أدب معين دون سواه بل يتناول جميع آداب الأمم وثقافاتهم خصوصاً ما كان منها — بشهادة أكبر الثقاة — ذات قيمة باقية على الدهر

ثانياً : تعتبر الجمعية العامة أن أعضاء الأمم المتحدة ليسوا على مستوى من التطور الثقافي وأن بعض الأعضاء قد يحتاج إلى مشورة الخبراء الفنيين في مختلف نواحي الاقتصاد والاجتماع والثقافة ، وأنها مدركة عظم المسؤولية الملقاة على عاتق الأمم المتحدة في تقديم هذه المشورة الفنية لهم بحكم نصوص ميثاقها نظراً لأهميتها في دعم السلم والرفاهية في العالم .

لذلك فهي تقرر إحالة هذا الموضوع إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي بالتعاون مع المؤسسات المختصة لإيجاد الوسائل الفعالة التي من شأنها تأمين تقديم آراء الخبراء الفنيين في مختلف نواحي الاقتصاد والاجتماع والثقافة للدول الراغبة في الحصول على مثل هذه الآراء .

* * *

هذان هما القراران اللذان أقرتهما الجمعية العامة لهيئة الأمم بالإجماع ، ونحن نسجلهما للتاريخ ، ولعلنا نراهما عن قريب عملا نافذاً ، ولعل اتجاهات السياسة المغرضة لا تجلمهما حبراً على ورق ، ولا تطويهما في مطاوي النسيان . .

دولة المماليك البحرية :

أجمع المؤرخون على أن السلطان الصالح نجم الدين أيوب هو أول من رتب المماليك البحرية وأول من سماهم بذلك الاسم نسبة إلى بحر النيل الذي كان يحيط بثكناتهم بجزيرة الروضة .

غير أن هذا الرأي لا يستند على أساس علمي صحيح ، فلقد أثبت أستاذنا الدكتور محمد مصطفى زيادة بالأدلة العلمية القاطعة أن الصالح أيوب لم يكن أول من أوجد تلك الفرقة في مصر ولم يخترع لتسميتها اسم البحرية ولا أدل على ذلك من أن جده السلطان العادل كانت لديه طائفة من الأجناد اسمها البحرية العادلية كما أن الفرقة التي أنشأها الصالح نفسه كانت تعرف باسم البحرية الصالحية ولا معنى لهذه النسبة سوى ما أريد بها من تمييز تلك الطائفة عن الطوائف البحرية الأخرى المنسوبة لمن سبق الصالح أيوب أو من جاء بعده من السلاطين كالبحرية الظاهرية المنسوبة للسلطان الظاهر بيبرس البندقداري[1] .

ويمكنني أن أدعم نظرية أستاذي القيمة بأدلة أخرى تتلخص في أن لفظ « البحرية » كان مستعملا في العهد الفاطمي في مصر حيث أطلق على طائفة من طوائف الجند ، فيروى أبو المحاسن واصفاً ركاب الوزير في الموكب الخلافي الفاطمي « ... ثم

(١) انظر مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول المجلد الرابع - مايو سنة ١٩٣٦ « بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك للدكتور زيادة »

يأتى حامل الدرق والرمح .. ثم الأكراد والغز المصطنعة وهم البحرية[1] .

ولم تكن فرق البحرية موجودة قبل عهد الصالح أيوب فى مصر فقط ، بل كان يوجد فى أوربا أيضاً فرق حربية جاءت إلى الأراضى الإسلامية وحاربت المسلمين فى الشام وأطلق عليها المؤرخون العرب المعاصرون اسم « الفرنج البحرية » أو « الفرنج الغرب البحرية » فيروى أبو شامة فى مخطوطه « النيل على الروضتين » لوحة ٨ و ٩ حـ ١ « ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وفيها فتح الملك العادل يافا .... ومن عجيب ما بلغنى أنه كان فى قلعتها أربعون فارساً من الفرنج الغرب البحرية فلما تحققوا نقب القلعة وأخذها دخلوا كنيستها وأغلقوا عليهم بابها وتجالدوا بسيوفهم بعضهم لبعض إلى أن هلكوا جميعاً وكسر المسلمون الباب وهم يرون أن الفرنج ممتنعين (صحتها ممتنعون) فألفوهم قتلى عن آخرهم فتعجبوا عن حالهم » .

ويروى أبو شامه فى موضع آخر ( حـ ١ لوحة ٥٥ ) « وفى سنة ٦٠١ هـ تغلبت طائفة من الفرنج البحرية يعرفون بالبنادق على قسطنطينية وأخرجوا الروم منها » . وفى موضع ثالث حـ ٢ لوحة ١٦٧ يذكر أبو شامه « فى سنة ٦٢٤ هـ قدم رسول الأنبرور ملك الفرنج البحرية على المعظم بعد اجتماعه بالكامل يطلب منه البلاد التى كان فتحها عمه صلاح الدين فأغلظ له القول وقال قل لصاحبك ما أنا مثل العزيز ما له عندى إلا السيف » .

ويروى ابن واصل فى مخطوطه « مفرج الكروب » حـ ١ لوحة ١٥٠ « سنة ٥٩٩ هـ خرج جمع من الاسبتار من حصن الأكراد والرقب ومن وصل من الغرب وأغاروا على بلد بعرين وعدتهم خمسمائة فارس ..... فبلغ الملك المنصور (صاحب حماة) ذلك فخرج إليهم والتقاهم فكسرهم كسرة عظيمة وقتل منهم مقتلة كبيرة وكان من جملة القتلى ..... وقومص من البحرية وانهزم الباقون لا يلوون على أحد » .

فلفظ بحرية إذن لم يكن جديداً على مصر حينما أنشأ الملك الصالح أيوب فرقته البحرية بل كان لفظاً عاماً أطلق على المسلمين والمسيحيين على السواء .

(١) النجوم الزاهرة حـ ٤ ص ٩٠ .

تبقى أمامنا المشكلة الأخيرة وهى لماذا سميت هذه الفرق بالبحرية ؟

للاجابة على هذا السؤال يجب أن نشير أولا إلى خطأ الفكرة الشائعة بأن لفظ بحرية يرجع إلى بحر النيل الذى كان يحيط بشكنات فرقة البحرية الصالحية بجزيرة الروضة ، فهذه النسبة لم يذكرها المؤرخون المعاصرون بتاتاً أمثال ابن واصل وأبى شامة ، هذا فضلا عن أن وجود هذا الاسم منذ العهد الفاطمى فى مصر ينفى هذا الزعم نفياً باتاً .

وأغلب الظن أنهم سموا بحرية لأنهم جاءوا من وراء البحار فيروى الجنرال جوانفيل أحد قواد حملة الملك لويس التاسع على مصر ( ١٢٤٩ — ١٢٥٠ م ) فى كتابه «تاريخ حياة سان لوى» العبارة التالية يعرف بها البحرية الصالحية :

They were called bahriyya or menfrom[1]

أى أنهم كانوا يسمون بحرية أو رجال ما وراء البحر Ouerseei,

والجنرال جرانفيل الذى ندين له بالكثير فى تفاصيل هذه الحملة فى كتابه المذكور ، قد حارب المماليك البحرية الصالحية وأسر عندهم وتحدث إليهم ، فروايته لها قيمتها بصفته رجلا معاصراً وشاهداً عياناً . وإذا علمنا أن المماليك البحرية زمن الأيوبيين والمماليك كانوا عبارة عن فئة من الغرباء والأجانب الذين جلبوا من أسواق النخاسة بالقوقاز وآسيا الصغرى وشواطىء البحر الأسود تأيدت لدينا عبارة جوانفيل السالفة الذكر .

من كل ما تقدم نرى أن لفظ بحرية فى العصور الوسطى كان لفظاً عاماً أطلقه المسلمون والمسيحيون على الرجال الآتين من وراء البحار .

أحمد مختار العبادى
أمين مكتبة كلية العلوم بجامعة فاروق الأول

## نجم يهوى

فى موجة من موجات الجنون قذف نجم بنفسه من سمائه العالية وهوى إلى أعماق البحر المظلمة ...

(١) The History of St. Louis by Joinville fr. by Joan Evans p. 84.